

فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ
الْقَلْبِ لَأَنْفَضْتُمَا مِنْ حَوْلِكَ...

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَانُ، إِرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ
يَرْحَمَكُم مَن فِي السَّمَاءِ.

مُجْتَمَعُ الرَّحْمَةِ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكِرَامُ!

أَنَّ مِنْ أَتَمَنِ النَّعَمِ الَّتِي مَنَحَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِعِبَادِهِ شُعُورِ
الرَّحْمَةِ . فَالرَّحْمَةُ هِيَ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ اسْمِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ " الرَّحْمَنُ " .
أَنَّ الرَّحْمَةَ هِيَ رِفْقُهُ الْقَلْبِ وَلِينِ الْفُؤَادِ وَالتَّصَرُّفِ بِرَأْفَةٍ وَإِنْصَافٍ .
فَالرَّحْمَةُ هِيَ تَطْهِيرُ الْقُلُوبِ مِنَ الْأَمْرَاضِ مِثْلِ الْحَقْدِ وَالْعَصَبِ
وَالإِنْتِقَامِ وَتَرْبِيَةِ الْقُلُوبِ بِجَمَالِ الْحُبِّ وَالِإِحْتِرَامِ وَالْعَفْوِ . فَإِنَّهَا النَّظَرُ
إِلَى كُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ الْحَيَّةِ وَحَتَّى الْكَوْنِ بِأَكْمَلِهِ بِعَيْنِ الْحُبِّ .

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعْرَاءُ!

إِنَّ السِّمَّةَ الْمُمَيِّزَةَ لِنبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الَّذِي
أَرْسَلَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، هِيَ رَحْمَتُهُ وَرَأْفَتُهُ¹ . وَفِي الْوَاقِعِ ، لَقَدْ تَمَّ وَصْفُ
سُلُوكِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى النَّحْوِ
الَّتَالِي . " فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ
لَأَنْفَضْتُمَا مِنْ حَوْلِكَ ..."²

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَقْضَلُ!

فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ
"³ . وَأَمَرَ الزَّوْجُ بِأَنْ يَكُونُوا مُنْصِفِينَ وَرُحَمَاءَ لِبَعْضِهِمُ الْبَعْضِ . وَبُشِّرَى
أَنَّ مِنْ إِحْتِرَامِهِ وَعَطْفِهِ عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ لِكَبَرِ سِنِّهِ فِي شَبَابِهِ ، هَيْئَةُ اللَّهِ لَهُ
مِنْ يَخْتَرِمُهُ وَيَعْطِفُ عَلَيْهِ فِي كِبَرِهِ وَشَيْخُوخَتِهِ "⁴ . وَلَقَدْ وَصَّانَا أَنْ نُعَامِلَ
كِبَارُ السِّنِّ بِإِحْسَانٍ وَلُطْفٍ ، لِأَنَّهُمْ هُمْ وَسِيلَةُ خَيْرٍ وَبِرَّةٍ لَنَا ، وَوَصَّفَ
أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، الَّذِي قَضَى طُفُولَتَهُ مَعَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ ، رَحْمَةً وَشَفَقَةً الرَّسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُجَاهَ الْأَطْفَالِ
عَلَى النَّحْوِ الَّتَالِي : " لَمْ يُؤْبِخْنِي رَسُولُ اللَّهِ لِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ وَلَمْ يَكْسِرْ قَلْبِي .

وَكَانَ يُنَادِينِي بِاسْتِمْرَارٍ بِدَافِعٍ وَمَحَبَّةٍ " يَا بُنَيَّ " وَ " يَا وَلَدِي " .⁵

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَقْضَلُ!

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ " إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِيُؤَجَّرَ فِي كُلِّ شَيْءٍ "⁶ وَمَثَلُ جَمِيعِ
الْمَخْلُوقَاتِ كَانَ لِلْحَيَوَانَاتِ نَصِيبًا مِنْ شَفَقَةِ وَرَحْمَةِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) . فِي الْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، الَّتِي تَقُومُ عَلَى الْمَبَادِئِ
الَّتِي قَدَّمَهَا رَسُولُ الرَّحْمَةِ لِلْبَشَرِيَّةِ ، الَّتِي تُظْهِرُ الشَّفَقَةَ وَالرَّحْمَةَ
لِلْحَيَوَانَاتِ . وَتُرَاعَى حَقُّهُمْ فِي الْعَيْشِ وَالْمَأْوَى فِي بَيْعَاتٍ مُنَاسِبَةٍ . وَمَعَ
ذَلِكَ ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي نَحْمِي فِيهِ حُقُوقَ الْحَيَوَانَاتِ ، يَنْبَغِي أَلَّا يَسْمَحَ
لِلْإِنْسَانِ ، الَّذِي هُوَ أَكْرَمُ خَلْقِ اللَّهِ ، بِأَنْ يَتَعَرَّضَ لِلْأَذَى . وَبِالَّتَالِي لَا
يَنْبَغِي تَرْكُ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي تُهَدِّدُ حَيَاةَ الْإِنْسَانِ دُونَ مُرَاقَبَةٍ فِي الشَّوَارِعِ
وَالْأَرْقَةِ . لِذَلِكَ يَقَعُ عَلَى عَاتِقِنَا جَمِيعًا مَسْئُولِيَّةً حِمَايَةَ شَعْبِنَا ، وَلَا
سِيَّمَا أَطْفَالِنَا ، مِنْ مَخَاطِرِ الْأَمْرَاضِ أَوْ الْحَيَوَانَاتِ الْمُفْتَرَسَةِ وَإِتِّخَاذِ
الْتِدَابِيرِ اللَّازِمَةِ لِهَذَا الْغَرَضِ .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعْرَاءُ!

وَفِي أَيَّامِنَا هَذِهِ ، حَيْثُ يَغْرُو الْعُنْفُ وَالْعَصَبُ وَالْكَرَاهِيَةُ
الْقُلُوبِ ، يَتَعَيَّنَ عَلَيْنَا كَأَفْرَادٍ فِي حَضَارَةِ الرَّحْمَةِ أَنْ نَعْتَبِقَ رَسَائِلَ نَبِيِّ
الرَّحْمَةِ مَرَّةً أُخْرَى . وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى : " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ "⁷
إِنَّهُ لِتَرْبِيَّةِ قُلُوبِنَا فِي مَدْرَسَةِ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ وَالْعِرْفَانِ لِرَسُولِ اللَّهِ .

أَذُنْ هَيَّا بِنَا ! لِتَتْرُكَ جَانِبًا الْقَسْوَةَ الَّتِي أَصَبَحَتْ أَكْبَرَ مَرَضٍ فِي
عَضْرِبِنَا هَذَا ، فَلِنُكْرِنَ وَاعِينِ وَرُحَمَاءَ تُجَاهَ أَزْوَاجِنَا وَأَطْفَالِنَا وَأَبَائِنَا
وَأُمَّهَاتِنَا وَالْمُسَيِّبِينَ وَبَيْئَتِنَا وَجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ . لَعَلَّ يَنَابِيعَ الرَّحْمَةِ
تَتَدَفَّقُ فِي قُلُوبِنَا دَائِمًا وَلِتَنْمُو الشَّجَرَةُ الْمُسَمَّى بِالرَّحْمَةِ فِي قُلُوبِنَا .
وَلَعَلَّ الشَّفَقَةَ وَالرَّحْمَةَ تَعُمُّ عَلَيْنَا فِي كُلِّ مَكَانٍ حَوْلِنَا ، وَعَسَى أَنْ تَكُونَ
عَائِلَتُنَا وَمُجْتَمَعُنَا مَوْقِدًا مِنَ الرَّحْمَةِ .

وَأَخْتَتُمْ حُطْبَتِي بِالْحَدِيثِ الَّتَالِي لِنبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ . إِرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مَن فِي
السَّمَاءِ .⁸

¹ سُورَةُ التَّوْبَةِ 128/9 .

² سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ 159/3 .

³ التِّرْمِذِيُّ ، مَنَافِعُ ، 63 .

⁴ التِّرْمِذِيُّ ، الْبِرُّ ، 75 .

⁵ الْبُخَارِيُّ ، أُدِيبُ ، 39 ، مُسْلِمٌ ، أُدَابُ ، 31 .

⁶ الْبُخَارِيُّ ، الْمَسَابِقَاتُ ، 9 .

⁷ مُسْلِمٌ ، الْبِرُّ ، 24 .

⁸ أَبُو دَاوُدَ ، الْأَدَبُ ، 58 .

الْمُدِيرِيَّةُ الْعَامَّةُ لِلْخِدْمَاتِ الدِّيْنِيَّةِ